بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

((التَّأَنِّي مِنَ اللهِ))

الحَمْدُ للهِ الكَرِيمِ الرَّحْمَنِ، مُكْرِمِ الإِنْسَانِ، وَالمُنْعِمِ عَلَيْهِ بِالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالعَقْلِ وَالجَنَانِ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، ذُو الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَنْ وَصَفَهُ رَبُّهُ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ بِأَهْلِ الإِيمَانِ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ لِلنَّفْسِ عِنْدَ اللهِ مَقَامًا وَمَنْزِلَةً لَيْسَتْ لِغَيْرِهَا، وَتَذَكَّرُوا وُقُوفَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ الكَعْبَةِ وَقَوْلَهُ: ((مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ! مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ المُؤْمِنِ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللهِ مِنْكِ))، هَذِهِ هِيَ النَّفْسُ، وَتِلْكَ هِيَ مَنْزِلَتُهَا عِنْدَ اللهِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ حِفْظُهَا مِنْ أَعْظَمِ الوَاجِبَاتِ وَأَجَلِّ القُرُبَاتِ، وَتَضْيِيعُهَا وَإِيذَاؤُهَا مِنْ أَشْنَعِ المُنْكَرَاتِ، وَقَدْ كَتَبَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ عَلَى الأُمَمِ مِنْ قَبْلِنَا وَعَلَيْنَا ﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[2]، وَلَمَّا كَانَتِ النَّفْسُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ مِنَ المَرْتَبَةِ وَالمَقَامِ – عِبَادَ اللهِ – لَمْ يَتْرُكِ اللهُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَفْعَلَ فِيهَا مَا يَشَاءُ وَلَوْ كَانَتْ نَفْسَهُ، بَلْ إِنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَيَّنَ مَا يَجِبُ فِيهَا وَمَا يَجُوزُ لَهَا، وَمَا يَحْرُمُ فِيهَا وَمَا لا يَحِلُّ فِي حَقِّهَا، أَلَمْ يُخَاطِبِ اللهُ الإِنْسَانَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ بِقَولِهِ: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ

(١) سورة البقرة/ ١٩٥.
(٢) سورة المائدة/ ٣٢.

وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1]، أَلَمْ يَقُلْ لَنَا اللهُ جَلَّ جَلالُهُ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[2].

فَيَا مَنْ يُرِيدُ مَحَبَّةَ اللهِ: أَحْسِنْ وَكُنْ مِنَ المُحْسِنِينَ، وَإِنَّ مِنَ الإِحْسَانِ عَدَمَ الإِلْقَاءِ بِالنَّفْسِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، وَباللهِ عَلَيْكُمْ – عِبَادَ اللهِ – أَلَيْسَ مِنَ الإِلْقَاءِ بِالنَّفْسِ إِلَى التَّهْلُكَةِ قِيَادَةُ السَّيَّارَاتِ بِتِلْكَ السُّرْعَةِ الجُنُونِيَّةِ الَّتِي لا يُقِرُّهَا شَرْعٌ وَلا يَقْبَلُهَا عَقْلٌ! أَلَيْسَ مِنَ الإِلْقَاءِ بِالنَّفْسِ إِلَى التَّهْلُكَةِ قِيَادَةُ السَّيَّارَةِ فِي حَالِ سُكْرٍ أَوْ تَعَاطِي مُخَدِّرٍ – وَالعِيَاذُ بِاللهِ–! أَلَيْسَ مِنَ الإِلْقَاءِ بِالنَّفْسِ إِلَى التَّهْلُكَةِ استِعْمَالُ الهَاتِفِ اتِّصَالاً وَمُرَاسَلَةً وَلَعِبًا فِي أَثْنَاءِ قِيَادَةِ السَّيَّارَةِ! أَوَلَيْسَ مِنَ الإِلْقَاءِ بِالنَّفْسِ إِلَى التَّهْلُكَةِ تَكْلِيفُ النَّفْسِ مَا لا يُطَاقُ! فَيَقُودُ أَحَدُهُمُ السَّيَّارَةَ وَهُوَ مُرْهَقٌ أَوْ شِبْهُ نَائِمٍ! وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ القِيَادَةَ وَاسْتِعْمَالَ الهَاتِفِ، أَوْ يُمْكِنُهُ القِيَادَةُ بِسُرْعَةٍ لأَنَّهُ لا زَحْمَةَ فِي الطَّرِيقِ، أَوْ تُوَسْوِسُ لَهُ نَفْسُهُ الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ أَنَّ الطَّرِيقَ فَارِغٌ، ثُمَّ تَجِدُهُ بَعْدَ ذَلِكَ مُصْطَدِمًا بِسَيَّارَةٍ أُخْرَى أَوْ تَحْتَ شَاحِنَةٍ، أَوْ تَجِدُهُ خَارِجَ الطَّرِيقِ قَدِ انْقَلَبَتْ بِهِ سَيَّارَتُهُ قَلَبَاتٍ مُتَعَدِّدَةً، فَكَانَ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ وَأَصْبَحَ فِي خَبَرِ كَانَ!

وَمَا النَّتِيجَةُ – عِبَادَ اللهِ –؟ تَرَكَ وَالِدَيْنِ حَزِينَيْنِ عَلَيْهِ لَيْلَهُمَا وَنَهَارَهُمَا، وَزَوْجَةً كَانَتْ تَنْتَظِرُ رُجُوعَهُ فَجِيءَ بِهِ إِلَيْهَا مَلْفُوفًا فِي كَفَنِهِ، وَأَوْلادًا صِغَارًا تَرَكَهُمْ أَيْتَامًا وَحَرَمَهُمْ مِنْ حَقِّ الأُبُوَّةِ، وَذَهَبَتْ هَبَاءً طَاقَةٌ مِنَ الطَّاقَاتِ الَّتِي كَانَ مِنَ الوَاجِبِ أَنْ تَنْتَفِعَ بِهَا الأُمَّةُ؛ فَإِنَّ مُعْظَمَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَذْهَبُونَ ضَحَايَا لِلْحَوَادِثِ هُمْ مِنَ الشَّبَابِ الَّذِينَ تَنْتَظِرُ مِنْهُمُ الأُمَّةُ عَمَلًا وَإِنْتَاجًا، وَقَدْ يَبْقَى مُعَوَّقًا نَتِيجَةَ ذَلِكَ التَّهَوُّرِ المَمْقُوتِ، مُلازِمًا فِرَاشَهُ، لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْشِيَ إِلاَّ بِمَعُونَةِ غَيْرِهِ، وَلا أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَشْرَبَ إِلاَّ بِمُسَاعَدَةِ غَيْرِهِ، وَلا أَنْ يَقُومَ بِعَمَلِهِ وَيَرْعَى شُؤُونَهُ إِلاَّ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى غَيْرِهِ، وَكَمْ يَصْدُقُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ هَؤُلاءِ قَوْلُ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[3].

وَكَمْ مِنْ إِنْسانٍ لَمْ يَقِفْ ضَرَرُهُ عِنْدَ نَفْسِهِ! بَلْ تَعَدَّى ضَرَرُهُ إِلَى غَيْرِهِ؛ فَذَهَبَ ضَحِيَّةَ تَهَوُّرِهِ مَنْ كَانَ مَعَهُ فِي السَّيَّارَةِ، وَكَمْ سَمِعْنَا عَنْ أُسْرَةٍ ذَهَبَتْ كُلُّهَا، وَعَنْ بَيْتٍ أُقْفِلَ وَقَدْ كَانَ عَامِرًا

(١) سورة البقرة/ ١٩٥.
(٢) سورة النساء/ ٢٩.
(٣) سورة آل عمران/ ١٨٢.

بِالصِّغَارِ وَالكِبَارِ مِنْ أَفْرَادِ الأُسْرَةِ، وَكَمْ سَمِعْنَا عَنْ قَائِدِ سَيَّارَةٍ بِسُرْعَةٍ جُنُونِيَّةٍ، أَخَذَ يَتَجَاوَزُ بِهَا يَمِينًا وَشِمَالاً غَيْرَ مُبَالٍ بِأَحَدٍ حَتَّى اصْطَدَمَ وَجْهًا لِوَجْهٍ بِبَرِيءٍ كَانَ يَنْتَظِرُهُ أَهْلُهُ؛ فَذَهَبَ ضَحِيّةَ تَهَوُّرِ ذَلِكَ المُتَهَوِّرِ، فَإِنْ كَانَتْ نَفْسُهُ عِنْدَهُ رَخِيصَةً إِلَى هَذَا الحَدِّ فَهَلْ نُفُوسُ الآخَرِينَ رَخِيصَةٌ عِنْدَهُ! وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا هُوَ الضَّرَرَ وَالضِّرَارَ فَمَاذَا يَكُونُ إِذَنْ! أَلَا فَلْتَسْمَعُوا هَدْيَ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي يَقُولُ: ((المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

****

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ المُهْتَدِينَ الهُدَاةِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَتَعَالَوْا بِنَا نَسْمَعْ قَوْلَ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، نَعَمْ ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]، وَقَدْ أَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ دَرْسًا لِلإِنْسَانِيَّةِ يَصْلُحُ لِقَائِدِ السَّيَّارَةِ وَالطَّائِرَةِ وَالقِطَارِ وَالسَّفِينَةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَيْرِهِ يَحُثُّ الجُمُوعَ الَّتِي مَعَهُ، وَيُنَادِيها وَيَرْفَعُ يَدَهُ اليُمْنَى قَائِلًا: ((السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ)). وَإِنَّ تَعْلِيمَاتِ المُرُورِ وَقَوَاعِدَهُ تَنْصَبُّ فِي هَاتَيْنِ الكَلِمَتَيْنِ الشَّرِيفَتَيْنِ مِنْ كَلامِ مَنْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الكَلِمِ وَاخْتُصِرَ لَهُ الكَلامُ اخْتِصَارًا، وَتِلْكَ صِفَةُ عِبَادِ الرَّحْمَنِ؛ فَإِنَّ عِبَادَ الرَّحْمَنِ ﴿ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[3]، وَإِنَّ مِنَ الخِصَالِ الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ وَرَسُولُهُ الحِلْمَ وَالأَنَاةَ؛ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَحَدِ أَصْحَابِهِ: ((إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ: الحِلْمَ وَالأَنَاةَ))، وَمِنْ هَدْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلُهُ: ((التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، وَالعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ)).

(١) سورة التوبة/ ١٢٨.
(٢) سورة التوبة/ ١٢٨ .
(٣) سورة الفرقان/ ٦٣.

هذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا في ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.

(١) سورة الأحزاب/ ٥٦.